انه كان يسعى بها مطولا بطول الحية وتفسير شعبتاها اذا لواذ تكونان
شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها
فاورقت واثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها
فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام السعي المشي بسرعة
وخفة حركة فان قلت كيف ذكرت بالفاظ مختلفة بالحية والجان
والثعبان قلت اما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير
والكبير واما الثعبان والجان فبينهما تناف لان الثعبان العظيم من الحيات والجان
الدقيق وفي ذلك وجهان احدهما انها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية
صفراء دقيقة ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فاريد بالجان اول
حالها وبالثعبان مآلها والثاني انها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة
الجان والدليل عليه قوله فلما رآها تهتز كأنها جان وقيل كان لها عرف
كعرف الفرس وقيل كان بين لحييها اربعون ذراعا فلما رأى ذلك
الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال
والمخاوف وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر والشجر فلما
رآه يبتلع كل شيء خاف ونفر وعن بعضهم انما خافها لانه عرفها
لعين آدم منها وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة
نفسه ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها السيرة من السير كالركبة
من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى
المذهب والطريقة وقيل سير الاولين فيجوز ان ينتصب على الظرف
اي سنعيدها في طريقتها الاولى اي في حال ما كانت عصا وان
يكون اعاد منقولا من عاده بمعنى عاد اليه ومنه بيت زهير
وعادك ان تلاقيها عداء فيتعدى الى مفعولين ووجه ثالث
حسن وهو ان يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها

بمعنى انها انشئت اول ما انشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية
فسنعيدها بعد الذهاب كما انشأناها اولا ونصب سيرتها بفعل
مضمر اي تسير سيرتها الاولى يعني سنعيدها سائرة سيرتها الاولى
حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها قيل لكل ناحيتين
جناحان كجناحي العسكر لمجنبتيه وجناحا الانسان جنباه والاصل
المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران
والمراد الى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج السوء
الرداءة والقبح في كل شيء فكنى به عن البرص كما كنى عن العورة بالسوءة
وكان جذيمة صاحب الزباء ابرص فكنوا عنه بالابرش والبرص
ابغض شيء الى العرب وبهم عنه نفرة عظيمة واسماعهم لاسمه مجاجة
فكان جديرا بان يكنى عنه ولا ترى احسن ولا الطف ولا احذ
للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه يروى انه كان آدم اللون
فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشي البصر
بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت
من غير سوء وفي نصب آية وجه آخر وهو ان يكون باضمار نحو خذ
ودونك وما اشبه ذلك حذف لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا المحذوف
لنريك اي خذ هذه الآية ايضا بعد قلب العصا حية لنريك بها بعض الآيات
بعض آياتنا الكبرى او لنريك بهما الكبرى من آياتنا او لنريك من آياتنا
الكبرى فعلنا ذلك لما امره بالذهاب الى فرعون الطاغي لعنه الله عرف
انه كلف امرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه الى احتمال ما لا يحتمله الا
ذو جأش رابط وصدر فسيح فاستوهب ربه ان يشرح صدره ويفسح قلبه
ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها
صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات وان يسهل عليه في جملة الشئ

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)